تقدير موقف

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

ترامب وإدارة البيت الأبيض
استدامة الهيمنة وإعادة تقييم الشراكات

د. علي فارس حميد

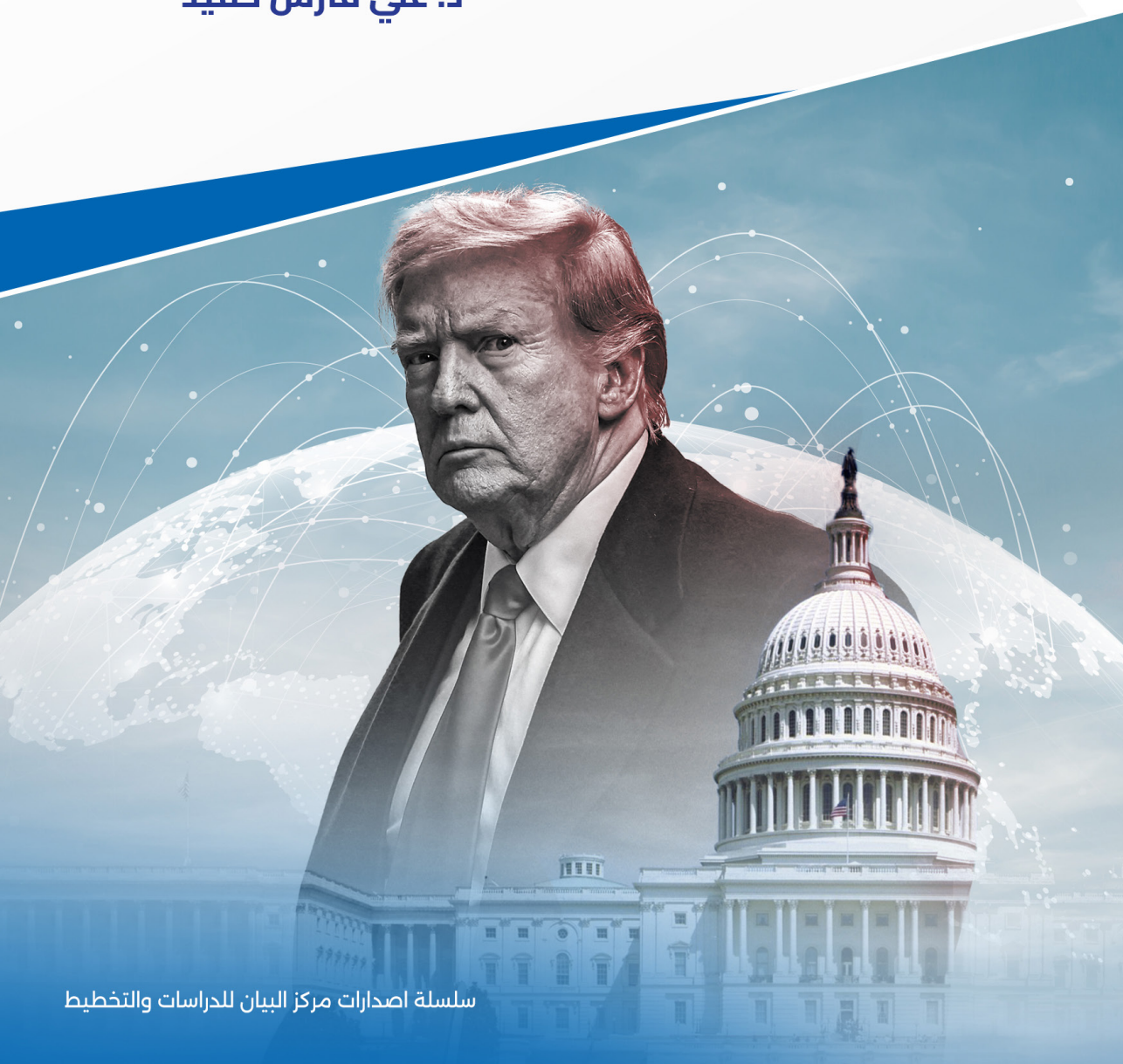

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

ترامب وإدارة البيت الأبيض: استدامة الهيمنة وإعادة تقييم الشراكات

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط/ قسم الابحاث / الدراسات السياسية

الاصدار / تقدير موقف

الموضوع / شؤون إقليمية ودولية

د. علي فارس حميد/ أستاذ الدراسات الدولية والاستراتيجية/ جامعة النهرين

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

منذ فوز المرشح دونالد ترامب في الانتخابات التمهيدية للتنافس داخل الحزب الجمهوري، وجميع المؤشرات داخل الولايات المتحدة الأمريكية تتجه نحو احتمال فوزه في الانتخابات الرئاسية لأسباب عديدة تتعلق بالسياسات التي تبناها الحزب الديمقراطي والرئيس جو بايدن طوال مدة إدارته للولايات المتحدة الأمريكية. إذ رافقت هذه المدة مشاكل عديدة تتعلق بالبرامج الصحية والحريات والمشاكل الأخلاقية التي بدأت تطفو بشكل متزايد، مؤثرة على العديد من الدوافع الداخلية لتجديد ثقة الشعب الأمريكي بالحزب الديمقراطي بشكل عام، والمرشحة الديمقراطية كاميلا هاريس بشكل خاص، التي لم تحظَ بتأييد معظم الجماعات الضاغطة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن إشكاليات أخرى تتصل بتراجع مكانة الولايات المتحدة بسبب المواقف المترددة التي تتبناها الإدارة الأمريكية تجاه القضايا العالمية.

ومما لا يقبله الشك فإن طبيعة الأحداث التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط قد كان لها تأثير كبير في توجه الشعب الأمريكي، فعدم الجدية في التعامل مع الجرائم التي يقوم بها الكيان الصهيوني قد أنتجت ردة فعل على سياسة جو بايدن تجاه الكيان الصهيوني، خاصةً من قبل طلبة الجامعات الأمريكية، فضلاً عن تطورات كبيرة شهدها النظام الدولي كالحالة مع قمة بريكس وتنامي قوة الصين في عالم الجنوب، مما سيكون له تداعيات محتملة على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها القوة المهيمنة عالمياً.

تشكل توجهات ترامب ظاهرة سياسية، فمن حيث التحليل تعنى بدراسة السلوك الذي يمكن أن يتبناه تجاه القضايا المؤثرة في النظام الدولي، والذي عادةً ما يكون مصحوب بسياسات غير متوقعة، ففي إدارة ترامب السابقة كانت السياسات تتجه إلى تعظيم الموارد الاقتصادية وتعزيز حماية الحلفاء وتمكينهم من تبني اجراءات الوقاية والدفاع، وتزايد تأثير المعطيات الاقتصادية بحكم الذهنية الفكرية لدونالد ترامب مما جعل إدارة قضايا النظام الدولي مرتبطة بالقيمة الاقتصادية وهذا ما يمكن أن يكون واحداً من ملامح الإدارة التي سيتبناها مع فريقه السياسي في البيت الأبيض.

الشرق الأوسط: توازن المصالح بتكاليف مدفوعة

على الرغم من صعوبة تقدير الأداء الاستراتيجي الأمريكي وفقاً لمنظور دونالد ترامب، إلا أن طبيعة العقيدة التي يتبناها قائمة على ضرورة منع الأحداث التي يمكن أن تؤثر في مكانة الولايات المتحدة الأمريكية العالمية، فالصعود الصيني في عالم الجنوب أسهم في أن تتحول الصين من تحدي للمكانة الأمريكية إلى تهديد، أي بالمعنى الذي يزيد من تراجع الولايات المتحدة الأمريكية، خاصةً وأن مبادرة الحزام والطريق الثانية أصبحت في مناطق تصادم حقيقية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح وجودها ضمن الرقعة الجغرافية للحلفاء ذو تهديد حقيقي إن لم تعيد الولايات المتحدة الأمريكية التفكير بشأنها. وهي تأتي في الوقت ذاته الذي تحاول فيه روسيا أن تُبين أن انتصارها في أوكرانيا قد تحقق، وأن الوضع في الشرق الأوسط يؤشر توزع القوة الدولية على نحو جديد في تعددية قطبية، بدلاً من هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، على حد تعبير ألكسندر دوغين.

تفسر هذه الحقائق المرتبطة بمكانة الولايات المتحدة الأمريكية تأييد الشركات الكبرى ورجال الأعمال لدونالد ترامب، فالمناطق التي تعد ذات نفوذ حيوي بالنسبة للمصالح الأمريكية قد لا تبقى كذلك في ظل عدم جدية الولايات المتحدة الأمريكية في تبني موقف استراتيجي حاسم تجاهها. وهذا ما ينطبق على الشرق الأوسط الذي تداخلت فيه حركة المتغيرات واتسعت الحرب من حيث الأطراف وقواعد الاشتباك، بحيث أصبحت معقدة من حيث الفعل ورد الفعل، الأمر الذي يستدعي استراتيجيات جديدة لإدارة الحرب، خاصةً وأن المنطقة قد تشهد تطورات جديدة بسبب خرق الكيان الصهيوني قواعد الاشتباك وتجاوز جميع الخطوط التي يمكن أن تعيد هذه القواعد إلى سابق عهدها.

من المؤكد إن واحدة من الضرورات التي يتبناها دونالد ترامب تجاه منطقة الشرق الأوسط هو عدم تحويل الحرب المحدودة إلى حرب شاملة، فمن المستبعد أن تلجأ الإدارة الأمريكية إلى حرب شاملة تؤثر على مصالحها وتفقد قيمتها المؤثرة فيها، فالولايات المتحدة تميل إلى معادلة التوازن في المصالح بما يمكنها من ضبط أداء جميع الأطراف، لأن عملية الاستنزاف كخيار بالنسبة إليها هو أفضل من الحرب الشاملة التي قد تنهي حالة الصراع المستدام دون أن تحقق نتائج ملموسة بالنسبة إليها أو قد يجعلها تفقد مقدرتها على الاستجابة المرنة للتهديدات مقابل تأثير اللوبيات والشركات التي تبقى الطرف الأكثر تأثيراً في صنع القرار الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية.

وهذا ما يمكن تلمس ملامحه بشكل واضح في الفريق الذي رافق عملية الترشيح ،والذي ينوي عن طريقه ترامب تصحيح نفقات الادارة الأمريكية. إذ أعلن دونالد ترامب عن تسليم ايلون ماسك تدقيق الأداء الحكومي واعادة تقييم النفقات وأمور تتعلق بالرقابة المالية والاقتصادية مما يمنح هذا الجانب اعتبارات جديدة بشأن المنهجية التي سوف يتبناها ترامب في مجال السياسات العامة وإدارة قضايا التفاعلات الدولية.

أما من حيث منطق التفاعل الإقليمي، فمن المحتمل أن تواجه الجمهورية الإيرانية صعوبات جديدة في سياق الحرب الدائرة في المنطقة. فالولايات المتحدة الأمريكية تستهدف ضبط قواعد الصراع والحرب بشكل يضمن بقاءها الفاعل الأكثر تأثيراً، ولذلك تعمل على إيجاد خيارات تُحكم عملية الاحتواء. منذ إعلان استشهاد القائد الفلسطيني إسماعيل هنية، بدأت النقاشات داخل البيت الأبيض تميل نحو تقويض الردود الإيرانية عبر فتح مفاوضات سياسية جديدة تتعلق بالملف النووي الإيراني. كما تسعى الولايات المتحدة إلى تحشيد الدعم الأوروبي، بالإضافة إلى الصين وروسيا، لإيجاد حوافز جديدة للجمهورية الإيرانية، من بينها الإفراج عن الأموال المجمدة من قبل البنك الفيدرالي الأمريكي. هذا التحرك قد يضع الجمهورية الإيرانية أمام تغيّرات جديدة في المنطقة، بما في ذلك احتمال عودة قواعد الاشتباك إلى وضعها الذي كانت عليه قبل العدوان الصهيوني على جنوب لبنان.

من الممكن أن تزداد فاعلية المحور السعودي-الإماراتي استناداً إلى منطق التأثير الاقتصادي والتوجه نحو إعادة تقييم الأدوار في المنطقة. فالولايات المتحدة الأمريكية، وفقاً لمنظور دونالد ترامب، تتبنى سياسة زيادة دعم الحلفاء القادرين على تحمل مسؤوليات مباشرة في إدارة التفاعلات الإقليمية. وفي هذا السياق، بدأ المحور السعودي-الإماراتي حوارات مع الجمهورية الإيرانية تهدف إلى التوصل لحلول وتسوية بشأن تطورات الحرب في المنطقة. يبدو أن ترامب يميل إلى دعم هذا الخيار، خاصة في حال العودة إلى سيناريو الحرب المحدودة.

وتتفق معظم التقارير الاستراتيجية الأمريكية على أن منطقة الخليج بحاجة إلى استراتيجية أمنية جديدة تساهم في إعادة تقييم الشراكات وسياسات الدفاع والردع في ظل تطورات البيئة الإقليمية. هذا من شأنه أن يضمن للولايات المتحدة استدامة هيمنتها في المنطقة، خاصة في ظل التنافس المتصاعد الذي تشهده[1].

1 Anthony H. Cordesman, The Biden Administration's Security Challenges in the Gulf, study by link; https://www.csis.org/analysis/biden-administrations-security-challenges-gulf

سياسات ترامب ومكانة العراق المشتتة

يشكّل العراق أولوية في استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه منطقة الخليج، لما تمثله المنطقة من أهمية استراتيجية ترتبط بالمصالح الحيوية وحركة المتغيرات الإقليمية والدولية. يحتل العراق مكانة وقيمة استراتيجية محورية بسبب موقعه الحيوي ودوره المؤثر في إدارة التوازنات والسياسات المتعلقة بالمنطقة، سواء من منظور الحلفاء أو الخصوم.

رغم ذلك، لا تزال هذه المكانة تُفهم من منظور خارجي يُبنى على دلالات استراتيجية قد يصعب على الداخل العراقي استيعابها أو التعامل معها ضمن رؤية وطنية متماسكة واستراتيجية سياسية مدروسة تُلبي تحديات البيئة الخارجية.

إنَّ واحدة من أهم السياسات التي تبنّاها دونالد ترامب كانت زيادة الضغوط في المنطقة الرمادية، وذلك وفقاً لاستراتيجية اتُّبِعت خلال إدارته السابقة. تُعبّر المنطقة الرمادية عن المجال الذي يتزايد فيه تأثير الأطراف، والذي يتكامل لاحقاً مع قوة المركز، وهو ما ينطبق، وفقاً لمنطق هذه الاستراتيجية، على فصائل المقاومة. وقد أصبحت هذه المنطقة تشمل العراق بسبب دعم فصائل المقاومة للجمهورية الإسلامية الإيرانية على حساب الولايات المتحدة الأمريكية. وخلال إدارة السيد عادل عبد المهدي، تصاعدت الضغوط الأمريكية التي حاولت توظيف العديد من الوسائل للضغط على العراق، من بينها فرض عقوبات مباشرة على مؤسسات اقتصادية عراقية تنتمي إلى القطاع الخاص.

يمكن أن تزداد الضغوط الأمريكية على العراق في إطار توجهات دونالد ترامب، إذ تشير بعض المؤشرات إلى أن الإدارة القادمة قد تميل إلى تبنّي هذا النهج مرة أخرى بهدف تعديل سلوك بعض الدول، وقد يكون العراق في مقدمتها. ووفقاً لمصادر متعددة، فإن اختيار بريان هوك لقيادة وزارة الخارجية الأمريكية أو لتولي منصب مستشار الرئيس للشؤون الخارجية قد يعزز احتمالية لجوء الولايات المتحدة إلى هذه الاستراتيجية، لا سيما أن هوك يُعد أحد مهندسي العقوبات الاقتصادية وينتمي إلى تيار متشدّد في التعامل مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مما قد يحدد ملامح السياسة المستقبلية للإدارة تجاه العراق.

ركزت العديد من المؤسسات البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية على المخاوف التي يمكن أن تنتج عن انسحاب القوات الأمريكية من العراق، فدراسة مركز ولسن حول زيارة السيد السوداني والحوار بخصوص سحب القوات الأجنبية يستدعي مخاوف عديدة بشأن السياسات التي سيتعامل بها العراق، وهنا يأتي تركيز الولايات المتحدة الأمريكية على موضوع العلاقة مع الجمهورية الإيرانية بما يشتمل عليه من محاور ممانعة وفصائل مقاومة والحرب في غزة ولبنان[2]، وقد لا تلاقي الولايات المتحدة الأمريكية استجابة كافية لتضمين هذه التهديدات بعد تولي ترامب إدارة البيت الأبيض.

وعلى الرغم من توصل العراق والولايات المتحدة الأمريكية إلى اتفاق بشأن سحب القوات الأجنبية، بعد إجراء تقييم للوضع في العراق من الناحية الأمنية شمل تهديدات تنظيم داعش الإرهابي واستعداد القوات الأمنية العراقية، إلا أن طبيعة التقييم وفقاً لمنظور دونالد ترامب يستدعي معطيات إضافية لعل في مقدمتها العلاقة مع الجمهورية الإيرانية وتقييم لوضع العراق وفق منظور مخاطر الحرب، فالاتفاق الأولي يشمل مرحلتين تنتهي الثانية في نهاية عام 2026 مما يعني أن عملية المراجعة والتقييم قد تتخذ منحى جديد بحسب رؤية الإدارة الجديدة للوضع في المنطقة. أو ستكون هنالك مفاوضات جديدة تفرض على العراق سياسات جديدة قد تكون مرتبطة بالضغوطات مما يؤثر على الاتفاقيات المبرمة مسبقاً[3].

ومن الناحية الموضوعية فإن منظور الإدارة الجديدة لسياسة الضغوطات قد تكون أكثر اعتماداً لغرض تعديل منطق التفاعل الذي تشهده المنطقة، أو السلوك الذي يؤديه العراق، فالعراق قد يكون مخلاً وفقاً لمنظور الإدارة الجديدة التي تحاول اعتبار سياسات جو بايدن سياسات غير منضبطة ولا تخدم المصالح الأمريكية. مما يجعل هذه الضغوط تنتقل من مؤسسات القطاع الخاص إلى المؤسسات الحكومية في حال عدم استجابة الحكومة العراقية.

2 Prime Minister Sudani's Pivotal US Visit and Its Implications for Iraq's Future, by https://www.wilsoncenter.org/article/prime-minister-sudanis-pivotal-us-visit-and-its-implications-iraqs-future

3 دانييل ديبتيريس، على الولايات المتحدة ان تنسحب بالكامل من العراق، مجلة التايم، ترجمة وتحرير المعهد العراقي للحوار: نصر محمد علي، العدد53،2024، ص20.

إن صعوبة تقدير منظور دونالد ترامب للتهديدات والمخاطر يكاد يكون المسألة الأكثر ضغطاً على العراق، فالتوازن، وفقاً لسياسة ترامب يعتمد على الحلفاء وتعزيز مكانتهم، وهذا ما شهدته العلاقات الأمريكية والسعودية في الفترة السابقة، إذ أن تعزيز مكانة الحلفاء في الاستراتيجية الأمريكية يعني تقليل التكاليف التي تقع على عاتق الإدارة الأمريكية، وهذا المنحى يتفق إلى حد كبير مع رؤية الفريق الذي ينوي ترامب تكليفه لمراجعة الأداء الحكومي. فالتكاليف الإضافية سيتحملها الشركاء مقابل مصالح يمكن تحقيقها لطرفي الشراكة وهذا ما يجب أن يدركه العراق، ومن هنا تأتي مخاطر الانسحاب الأمريكي من العراق، والذي سيقلل من ثقة الحلفاء في المنطقة وقد يفهم على إنه انتصار للجمهورية الإيرانية التي تحاول زيادة الضغط، فضلاً عن أن جميع المؤشرات الأمنية تتطلب من العراق أن يكون لديه شراكات منتجة لغرض التعامل مع مخاطر الإرهاب[4].

ما يتوجب فهمه من سياسات:

تمثل الاستراتيجية الأمريكية حلقة متكاملة تربط المصالح المتشعبة في العالم، فجميع الاستراتيجيات التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية كانت هادفة إلى إدارة هذه المصالح بالطريقة التي تضمن استمرار هيمنتها على العالم، وفي ضوء هذه الفرضية فإن إدارة دونالد ترامب ستكون مهمتها تصحيح المسارات غير المتطابقة مع هذه الغايات. يعتقد الخبراء أن وجود ايلون ماسك في مراجعة الأداء الحكومي ونائب الرئيس المنتخب دي فينيس المتشدد في تقييم التهديدات والمخاطر في منطقة الشرق الأوسط سيكون له تأثير كبير على مراجعة القرارات التي تتصل بالعراق. فضلاً عن التعامل مع موقف العراق من الجمهورية الإيرانية والحرب في غزة وجنوب لبنان.

إن منطق الحسابات الاستراتيجية الذي يمكن أن تنتهجه إدارة دونالد ترامب وفريقه الرئاسي قد يكون ضمن نطاق تكامل المصالح وفق معيار التكلفة، فالولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح لأطراف دولية أو إقليمية أن تحل محلها، إلا أنه من الممكن أن تؤدي بعض القوى أدواراً تؤدي منافعها إلى شراكة متكاملة من حيث المصالح، مع الأخذ بعين الاعتبار نقل التكاليف التي يتطلبها هذا الدور إلى هذه القوى. الأمر الذي يعني أن الإدارة الأمريكية الجديدة سوف لن تنسحب من العراق مقابل دور يكون محسوب للجمهورية الإيرانية، فالانسحاب سوف يكون مرهون بإصلاحات سياسية يقدمها العراق مقابل ذلك.

4 مصطفى سليم، ميسي رايان واخرون، العراق يروج لاتفاق مع الولايات المتحدة لسحب معظم القوات الامريكية بحلول عام 2026، ترجمة نصر محمد علي، المعهد العراقي للحوار، بغداد، العدد 53، 2024، ص40.

من حيث المبدأ، يمكن أن تعزز القوات الأمريكية تموضعها في إقليم كردستان كواحدة من الخيارات الاستراتيجية لأجل تنفيذ بعض التزامات إدارة الرئيس جو بايدن[5]، رغم أن ذلك سيقابله ضغوطات تجاه العراق، مع الاحتفاظ بقوات عسكرية في قاعدة عين الأسد لما تمثله هذه القاعدة من أهمية استراتيجية بالنسبة للحلفاء. وسيتوجب على العراق، مقابل ذلك، أن يكون على استعداد للتعامل مع الإدارة الأمريكية وفقاً لما تفرضه احتمالات السياسات الجديدة، وهنا تأتي أهمية جلسات التقييم والمتابعة التي تتبناها المؤسسات البحثية الأمريكية، إذ يمكن ملاحظة انتباه السفارة العراقية في واشنطن باستضافة خبراء من مراكز بحثية لمناقشة السياسات المحتملة ورؤية ترامب للحرب في الشرق الأوسط والموقف بالنسبة للعراق، ويمكن أن تدعم هذه الرؤى توجهات الحكومة بشأن الحوارات المشتركة والمصالح الثنائية[6]. أو فهم السياسات التي يمكن أن تتبناها ادارة دونالد ترامب حيال العراق والفرص التي يمكن مقابلها أن يستفيد منها العراق.

إن السياسات التي سيتبناها دونالد ترامب ستكون لها تداعيات على العراق والمنطقة، بشكل كبير وتتطلب إعادة تقييم لمبادئ الشراكة والإطار الاستراتيجي وفقاً لما تقتضيه متطلبات البيئة من تحسب لمنطق التفاعل الذي ستتبناه الولايات المتحدة الأمريكية لأجل استدامة هيمنتها على النظام الدولي ومنع القوى التعديلية من توظيف الفوضى في منطقة الشرق الأوسط لزيادة قوتها، الأمر الذي يتطلب من العراق إعادة تقييم دور الشركات العامة والخدمات التي يمكن تقدمها للحكومة العراقية من أجل إحداث توازن في السياسة الخارجية العراقية.

5 نصر محمد علي، الولاية الثانية المحتملة لترامب: الدلالات والتداعيات، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، 2024، ص5.

6 السفارة العراقية في واشنطن، عن طريق تغريدة الصفحة الرسمية على منصة X
https://x.com/iraqinusa/status/1855050547482824877?s=52&t=7uM5kJXW2ber5Bobiz9pSg

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org